

سيرة فكرية (١)

وقد كان له موقف من جهيمان وأتباع حركته فقد حاولوا زيارته في منزله وعمري إذ ذاك سنّيات، فطردهم وأغلظ لهم القبول، وقال لهم كما كان يروي لي تلكم القصة بكل براءته المعهودة ﷺ: «لو كان فيكم خير كنتم عند ابن باز في دروسه أو كان ابن باز معكم عند بيوتنا...».

وكنْتُ أكبر فيه هذا التوفيق الذي هُدي إليه ورزقه من غير حول ولا قوة.

وأذكر أنني كنْتُ أناقشه ﷺ ويحتد بيننا النقاش غضر الله لي في موقف من شخص يظهر نجمه ويبرق اسمه في الإعلام الدعوي، وقد يكون له فُقاعة إعلامية يطفو بها اسمه على سطح مكتب المجتمع.. فإذا أراد أن يُنتهي نقاشنا قال لي -بكل براءة-: «هل هو أعلم أم ابن باز؟».

قلت: لا شك شيخنا الباز أعلم وأحكم، وأدبه وجادته أسلم.

عندها يضحك ضحكة المنتصر ويقول:

قال لك: «لا تتعدى ابن باز من دخلت الرياض يا ولدي وعمري قرابة العشرين إلى اليوم وهو ما أختلف مثل غيره...».

فكان والذي الغالي ﷺ يُعلقني من حيث أشعر أو لا أشعر بالنموذج البازي مما جعلني أنقطع عن كل المؤثرات الدعوية إلا ما كان من باب شيخنا الإمام ابن باز رحمه الله رحمةً واسعة، ما شكّل عند الطالب الجامعي قالباً معرفياً عرفته فيما بعد من خلال البحث والمطالعة بمنهج أئمة الدعوة التجديدية.

وكنْتُ أتأمل حياة شيخنا الإمام وهو يُزكّي كل مَنْ يعمل في الساحة العلمية والدعوية ويؤكد على لزوم السنة النبوية وينكر ما كان من مخالقات شرعية لجادة سلف الأمة بالتي هي أحسن طوراً بالزيارات وطوراً

قال بوش الابن في تصريح له: (إما أن تكونوا معنا أو ضدنا).

هذه القاعدة البوشية صمد بها مَنْ أصبح يعيش بين الناس بروح قتالية، يُحقّب الناس، معنا أو ضدنا، في عملية جائرة للغوص في مقاصد الأرواح، ومعاهد النفوس.

وأذكر حواراً جرى بيني وبين رجل يزعم أنه صديقي..

قال لي: أتعبتني يا أخي.

قلت له: أعوذ بالله، مم؟

قال: لم أعرف لك تصنيفاً أصنفك به بين الناس.

قلت له بعد طول تأمل في كلامه ومقاصده: أنا أصنف لك نفسي لترتاح من مأثم ذلك ومفرمه ومفئده إن كان فيه مفنم.

فأنا مخلوق بشري.. سمّاه والده ﷺ (محمد).. كاد يموت في صغره بأمراض تعاودت عليه شفاء الله منها بفضلته ثم بأم رءوم تحنو عليه وجدّ حاذق كواه في قفاه.. فأفاق صاحبك للحياة من جديد بتيسير الله وفضله.

وكبّر الصبي وشبّ عن الطوق وهو في ظل ظليل من والده الكريم ﷺ ولزم حلق القرآن الكريم في صباه حتى ختم على شيخه الباكستاني عبد الرحمن قاضي في مرحلة الجامعة، وتعلم على علماء الرياض ولزم مجالسهم خاصة الإمام عبد العزيز بن باز والشيخ عائض بن فهدغوش الحارثي رحمهما الله والشيخ عبد الله بن صالح القصير حفظه الله.

مرّت بالشاب (محمد) عواصف فكرية تمر بالجيل بطبيعة المرحلة العمرية، ولكن كان توفيق الله ثم الناصح الصادق والذي رحمه الله رحمةً واسعة سداً منيعاً من الانزلاق فيما يعارض شرع الله فكراً ومنهجياً.

سيرة فكرية (٢)

طالما سمعته في درسه بجامع سارة، وهو يقول بصوت متهدج: ما وجدتم من كلامي يخالف الكتاب والسنة فاضربوا به عرض الحائط، ويشيروا إلى جدار المسجد قارة يمنة وقارة يسرة.

بقي أن أقول لصاحبي ولكل مبتلى بأعراض الناس: جعلنا الله ممن يخدم الإسلام وأهله، ونعوذ بالله أن تكون ممن يستخدم الإسلام وأهله، كما أنني أشهد الله وملائكته وجميع خلقه بما فيهم أنت أنني أبرأ إلى الله من كل ما خالف كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وأنتي لا أفهم الكتاب والسنة إلا بفهم سلفنا الصالح رحمهم الله، ومن سار على دربهم من أئمة الدعوة في مملكتنا الغالية، وأنتي أحث على الاجتماع على إمام المسلمين ولزوم خلق كبار علمائهم، وأحذر من أصحاب الأهواء والمحدثات والبدع سواء العلمية أو العملية أو الاعتقادية أو المنهجية بأي اسم كانت وبأي رسم بانت.

فهل عرفت من أكون يا صاحبي؟

أنا مسلم.. جعلت من أئمة الدعوة في بلادنا المباركة قدوة في الفهم والسلوك والتهاج فسلمت من التشتت، والتمر والتحزب، والله الحمد والمنة.

وفقتنا الله للسيرة على جادة العلماء الناصحين والأئمة المخلصين، ورزقنا وإياك الانشغال بخواص أنفسنا تهذيباً، وتاديباً، وتعليماً، وعملاً.

والسلام يا صاحبي يفشاك.. ليظهر الله به قلبك. والرحمة ليظمنن بها قوادك.

بالاتصالات وطوراً بالمكاتبات وطوراً بالردود.. حتى علق في ذهني منهجه وحسن استصلاحه لمن حوله وجمال تدييره لما منحه الله به من علم وحسن خلق.

وكنتم ألتزم صلاة الظهر كل يوم ثلاثاء في مسجد الإفتاء للسلام عليه وسؤاله عما يشكل علي من عام ١٤١٢ هـ إلى العام الذي مات فيه رحمه الله رحمة واسعة، وما أذكر أنني خرمته ذلك إلا لما حتى عرفني باسمي وب تخصصي وجامعتي وبوظيفتي رحمه الله رحمة واسعة، ولا أنسى موقف أبي غفر الله له ضحى يوم الخميس الذي قبض فيه الشيخ كيف تردد في إخباري وكيف واساني وكفكف عبراتي ووعظني حينها بقوله: «إن كنت تحبه فسر على طريقته...». ويا لها من وصية تلمع في سماء حياتي كل ما يمر علي موجباً لها.

وما زلت يا صاحبي أجتهد في قفو أثر هذا الرجل وأسير على جادته امتثالاً لقول الله: ﴿فَتَلَوَا هَٰذَا الذِّكْرَ﴾ ولقول رسوله ﷺ: «ليس منّا من... ويعرف لعالمنا حقه» (أخرجه أحمد في مسنده (٤١٦/٣٧)، برقم (٢٢٧٥٥)).

وامتثالاً لوصية والدي (سرا) رحمه الله رحمة الأبرار: «إن كنت تحبه فسر على طريقته».

ومع ذلك أحببت البليغ لبلاغته والكاتب لقلمه والمشاكل لمشاكلته، ولم أقبل منهم كل شيء بل كنت أخسر بعضهم جرأ النصيحة الصريحة إذا رأيت منهم ما يخالف أمر الله جل وعز.

فهل عرفت أيها المصنّف المنصّف، من أكون؟

وأنا مع ذا شديد النفرة من التقليد الأحمق والتقليد البليد، وأنتهج الحق ما رأيت به وسعي وطاقتي ولو خالف رأي شيخي الإمام.. الذي

د. محمد بن سراج الياقيني